

روح المعاني

وأخرج عن ابن زيد أنها نزلت في رجل قتله أبو الدرداء وذكر من قصته مثل ما ذكر من قصة أسامة والاقتصار على ذكر تحية الاسلام على هذا مع أنها كانت مقرونة بكلمة الشهادة للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطئهم ببيان أن التحية كانت في المكافاة والانجاز عن التعرض لصاحبها فكيف وهى مقرونة بتلك الكلمة الطيبة واستدل بآية وسياقها على صحة إيمان المكره وإن المجتهد قد يخطئ وإن خطأه مغتفر وجه الدلالة على الأول أنه مع ظن القاتلين أن إسلام من ذكر لخوف القتل وهو إكراه معنى أنكر عليهم قتله فلولا صحة إسلامه لم ينكر ووجه الدلالة على الثانى أنه أمر فيها بالتبيين المشعر بأن العجلة خطأ .

ووجه الدلالة على الثالث مأخوذ من السياق وعدم الوعيد على ترك التبيين وذهب بعضهم الى أنه لا عذر في ترك التثبت في مثل هذه الأمور وأن المخطئ آثم واحتج على ذلك بما أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي عن الحسن أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبوا يتطرقون فلقوا ناسا من العدو فحملوا عليهم فهزموهم فشد رجل منهم فتبعه رجل يريد متاعه فلما غشيه بالسنان قال : انى مسلم إنى مسلم فأوجره بالسنان فقتله وأخذ متيعه فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال E للقاتل : أقتلته بعد ما قال : إنى مسلم ! قال : يارسول الله إنما قالها متعوذا قال : أفلا شققت عن قلبه ! قال : لم يارسول الله قال لتعلم أصادق هو أم كاذب قال : كنت عالم ذلك يارسول الله قال E : إنما كان يبين عنه لسانه إنما كان يعبر عنه لسانه قال : فما لبث القاتل أن مات فحفر له أصحابه فأصبح وقد وضعته الأرض ثم عادوا فحفروا له فأصبح وقد وضعته الأرض الى جنب قبره قال الحسن فلا أدري كم قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : دفناه مرتين أو ثلاثا كل ذلك لاتقبله الأرض فلما رأينا الأرض لاتقبله أخذنا برجله فألقيناه فى بعض تلك الشعاب فأنزل الله تعالى قوله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا الآية وفى رواية عبد الرزاق عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الأرض أبت أن تقبله فالقوه فى غار من الغيران ووجه الدلالة فى هذا على الإثم طاهر وأجيب بأن هذا القاتل لعله لم يفعل ذلك لكون المقتول غير مقبول فى الاسلام عنده بل لأمر آخر واعتذر بما اعتذر كاذبا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد وابن المنذر والطبرانى وجماعة عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمى قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى إضم فخرجت فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحرث بن ربيع ومسلم بن جثامة بن قيس اللبثى فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى على

قعود معه متيع له ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه فقتله وأخذ متيعه فلما قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن يا أيها الذين آمنوا الخ والظاهر أن الرجل المبهم في خبر الحسن هو هذا الرجل المصرح به في هذا الخبر وهو يدل على أن القتل كان لشيء كان في القلب من ضغائن قديمة وإنما قلنا : إن هذا هو الظاهر لما في خبر ابن عمر أن محلما بن جثامة لما رجع جاء النبي صلى الله عليه وسلم في بردين فجلس بين يديه E ليستغفر له فقال : لاغفر الله تعالى لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال : ان الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله تعالى أراد أن يعظكم ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه الحجارة فان الذى يميل القلب اليه اتحاد القصة واعترض على القبول بعدم الوعيد ب أن قوله تعالى : إن الله كان بما تعملون خبيراً